مقال علم النفس

نص السؤال: - هل يمكن دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية؟

طرح المشكلة:

إن الحديث عن العلوم الإنسانية هو الحديث عن تلك العلوم التي تتخذ من الانسان موضوعا لدراستها، ومن بين علومها علم النفس الذي يهتم بدراسة وتفسير السلوك الإنساني والتنبؤ والتحكم فيه. ولقد طرح علم النفس مشكلة ابستيمولوجية حول قيمته وذلك بعد النتائج التي حققها المنهج التجريبي على الظواهر الطبيعية بفضل التزاماته الموضوعية، حيث ساد الشك حول القيمة العلمية لعلم النفس في ظل صعوبته في تطبيق الموضوعية مما أثار جدلا كبيرا بين الفلاسفة والعلماء فانقسموا إلى فريقين متعارضين: فريق يرى أنه لا يمكن دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية، وفريق آخر يرى أنه يمكن دراستها دراسة علمية، فطرحوا التساؤل التالي: هل صعوبة تحقيق الموضوعية يحط من القيمة العلمية للعلم النفس؟ وبعبارة أخرى: هل يمكن دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية موضوعية؟

محاولة حل المشكلة:

لا يمكن دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية	يمكن دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية
الموقف الأول: يرى أصحاب الموقف الأول أنه يستحيل دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية تجريبية نظرا لاختلافها عن الظاهرة الفيزيائية وذلك وجود العوائق والصعوبات واجهت العلماء.	**الموقف الثاني:** في مقابل ذلك يرى أصحاب الموقف الثاني أنه يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة النفسية ذلك أنها تسعى الى تحقيق الموضوعية.
ومن بين المدافعين عن هذا الطرح:جون كميني، مونتاي، بياجيه	**ومن بين المدافعين عن هذا الطرح: واطسن، فيخنر.**
وحججهم في ذلك ما يلي: - إن الظاهرة النفسية ظاهرة داخلية، يدركها صاحبها ولا يمكن ادراكها من الخارج فنحن لا نرى الشعور واللاشعور او الحب والكراهية والانانية وغيرها وبالتالي لا يمكن ملاحظتها. وفي هذا يقول **مونتاي: " لا أحد يعرف أنك جبان أو طاغية الا انت فالآخرون لا يرونك أبدا".**	**وحججهم في ذلك ما يلي:** يرى علماء النفس من بينهم **واطسن وفيخنر** انه يمكن دراسة الحوادث النفسية دراسة علمية ذلك ان هذه الدراسة تكون انطلاقا من الآثار المادية التي يحدثها السلوك الإنساني.

- ان الظواهر النفسية ظواهر معنوية فهي تتنافى مع الطابع المادي الذي تتسم به موضوعات العلوم التجريبية فالإنسان لا يستطيع ان يمسك مشاعره واحاسيسه.

- ان الظواهر النفسية غير قابلة للتكرار لذلك يستحيل دراستها دراسة علمية بحيث لا يمكننا دراستها لا بطريقة مباشرة ولا من خلال اصطناعها بحيث لا يمكننا اصطناع مشاعر الحب والكراهية وفي هذا يقول **اوجيست كونت: "علم النفس هو تكديس للأفكار اللاهوتية الميتافيزيقية".**

- من خصائص الظواهر النفسية انها ظواهر متغيرة غير ثابتة على حالها فهي ظواهر فردية تتغير من شخص الى آخر عكس الظواهر الفيزيائية التي تتسم بالموضوعية ذلك أن لكل شخص مقوماته الشخصية وفي هذا يقول **ارنست ماخ: " الحادث النفسي هو الحادث الذي لا يدركه مباشرة الا شخص واحد".**

- ان الظواهر النفسية لا تخضع لمبدأ الحتمية وبذلك استحالة التنبؤ بها فالمواقف التي قد تسبب لنا الما وحزنا في الحاضر ليس بالضرورة ان تسبب لنا نفس الألم في المستقبل يقول **جون كميني: " التنبؤ يستحيل مع البشر لأنهم يتمتعون بالإرادة الحرة ".**

- إضافة الى انها ظاهرة متداخلة ومتشابكة حيث تتداخل فيها مختلف القدرات العقلية من انتباه وادراك وتذكر... وبذلك يصعب فهمها وتفسيرها يقول **جون ستوارت مل: " إن الظواهر المعقدة والنتائج التي ترجع الى علل وأسباب متداخلة لا تصلح ان تكون موضوعا حقيقيا للاستقراء المبني على الملاحظة والتجربة".**

- كما نواجه مشكل اخر في دراسة علم النفس دراسة علمية وهومن اهم المشاكل الابستيمولوجية والذي يتمثل في عائق الذاتية ذلك ان الباحث هو الدارس والمدروس في آن واحد. وفي هذا يقول **بياجيه: " توجد عدة عوائق تعترض تحقيق العلمية في العلوم الإنسانية لأنها تتميز بخصوصية تتمثل في كون الذات الملاحظة تلاحظ ذاتها بذاتها".**

- يقول **بيار نافيل: " إن السلوكي يرى قبل كل شيء أن الميدان الحقيقي لعلم النفس لا يتمثل الا في الحركات القابلة للملاحظة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"** ويتفق معه في هذا فونت الذي أنشأ اول معمل تجريبي لعلم النفس حيث يهتم علم النفس التجريبي بالمتغيرات النفسية التي يمكن ملاحظتها وقياسها كالانتباه والادراك ...

- كما تمكن العلماء من قياس بعض القدرات العقلية والمهارات الحركية وذلك بواسطة الأجهزة ومثال ذلك قياس نسبة الذكاء...

- كما ساهمت الدراسات الاستنباطية ودراسة السلوك مع العالم الفيزيولوجي بالوف في دراسة علم النفس دراسة علمية وذلك من خلال اكتشافه لظاهرة المنعكس الشرطي والتي كانت من **خلال تجربته على الكلب حيث وضع الكلب والطعام ومنبه واصبح تنبيه الجرس الذي صاحب تقديم الطعام عدة مرات كفيل بسيلان اللعاب وتم فهم فيزيولوجيا الحيوانات.**

- أما واطسن فلقد اكد على إمكانية دراسة السلوك الإنساني وإمكانية التنبؤ به وفي هذا يقول: **"إن علم النفس كما يراه السلوكي فرع موضوعي وتجريبي محض من فروع العلوم الطبيعية هدفه النظري التنبؤ بالسلوك وضبطه".**

ويضيف نافيل قائلا: **"التنبؤ لدى السلوكي يكون اعتمادا على المثير والاستجابة التي تنجم عنه".**

- إضافة الى ذلك فلقد ساهمت الدراسات النفسية في فهم بعض السلوكات الصادرة عن الانسان والتي لم يكن لها أي مبرر فلقد قام بريهايم من خلال التنويم المغناطيسي معالجة بعض الحالات وذلك من خلال نقلها من الشعور الى اللاشعور حيث تمكنت من الفصح عن مكبوتاتها فطريقة التنويم المغناطيسي ساعدت العلماء في فهم هذه الحالات ومعالجتها.

- أما فرويد فقد رفض طريقة التنويم المغناطيسي واوجد طريقة علاج أخرى والتي تسمى بالتداعي الحر أي الكشف عن المكبوتات بصورة واعية يقول فرويد: **" ان التداعي الحر من المزايا الهامة، فهي تتجنب كل ضغط على المريض بأكبر قدر ممكن".**

النقد والمناقشة:

- كما ان العوائق التي واجهت علماء النفس في دراسة الظواهر النفسية لها دور في عرقلة الأبحاث لكن التطور الحاصل على مستوى المنهج التجريبي كفيل بالتخفيف من هذه الصعوبات، ولعل تطور الدراسات النفسية في العصر الحديث دليل على ذلك (مدرسة التحليل النفسي) و(المدرسة السلوكية).

النقد والمناقشة:

- أما فيما يخص الدراسات النفسية فهي كذلك لا ترتقي الى مستوى الموضوعية كما انها نسبية، كما يستحيل اعتبار الظاهرة النفسية مثل الظاهرة الطبيعية فلكل خصائصه ونتائجه.

التركيب:

من خلال عرضنا للموقفين السابقين نرى: انه يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة النفسية ودراستها دراسة علمية ولكن بمراعاة خصوصيتها ومميزاتها لأنها هي التي تفرض نوعية الدراسة والمنهجية المطبقة وهذا ما هو مجسد فعلا من خلال التطورات التي شهدها علن النفس واتساع فروعه.
في هذا يقول **بياجيه: " الحوادث النفسية ترتبط بالإنسان ككل ومن هنا وجب احترام تعدد المناهج وتكاملها".**

حل المشكلة:

وكحل لهذه المشكلة نرى: انه يمكن اخضاع الظاهرة النفسية للدراسة العلمية ودراستها دراسة موضوعية وهذا مرتبط بمدى التزام العالم النفسي بشروط الدراسة العلمية وخاصة الموضوعية. كما انه يمكن دراستها دراسة علمية وفق مناهج خاصة. ودليل على ذلك ظهور: (علم النفس المرضي، العيادي، الارطفوني...).